

في تاريخ الأرب المصري

أيدهم الحسيوى

تمة

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

أما الوصف في شعر شاعرنا فهو وإن كان غير مقصود له بالذات يحدتنا كذلك عن بعض نواحي الحياة المصرية ، وبعض المجال فيها ، يحدتنا عن الطبيعة المصرية في زمن الربيع ، فيصفها وصفاً دقيقاً ، ويحدتنا عن الاحتفال بوفاء النيل ، فيصفه كأنك تراه ، ووصف لك الأبنية التي بناها الملك الصالح فيجملك تشعر بالعظمة والأبهة اللتين تمتعت بهما تلك الأبنية . ووصف لك الجيش المصرى فتحس بالجد المصرى والقوة المصرية والشجاعة المصرية التي لا تنتفى عن قصد ولا هزيم أمام حصن مهما كان عظيماً . قال يصف الجيش المصرى الذى فتح دمشق :

جيشاً نقص به الأرض القضاء كما
تراكم النيم يوم الدجن ذازجل
من الكفاة التي تطوى ضلوعهم
على العزيمة والاقدام ، لا الفشل
من كل أمضى من الهندى في يده
عزماً ، وأنفذ أقداماً من الأسل
يكون أثبت يوم الروع من جبل
راس ، وأجول في الصفيين من مثل
ولتصت إليه حين يصف لنا الاحتفال بوفاء النيل ، وكأنه

يصف لنا الاحتفال الذي لا تزال نراه بأعيننا في كل عام ، قال :
يوم تجلى الدهر منه بزينة
لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث الميدين إلا أنه
لهو ، ليس على العبلدة يطلق
جمت لمجده خلألق غادرت
فيه رحيب البر ، وهو مضيق
وعلى عباب البحر من سباحه ،
أم يفص بها القضاء ، ويشرق
كادت تبين لهم على صفحائه
طرق ، وليكن يفتقون ويرتق
ثم مضى يصف الأنوار ، ويصف الملك محف به حلشيته الى
آخر ما وصف به ذلك اليوم ، فإذا أنت ذهبت تستمع إليه ، وهو
يحدتنا حديث إبداع عن طبيعة مصر في الربيع سمعته يقول :

الروض مقبل الشيبية مونتق
خصل يكاد غضارة يتدفق
ثر الندى فيه لآلىء عقده
فالزهر منه متوج ، ومنطق
وارتاع من من النسيم به ضحا
فقدت كأنم زهره تفتق
وسرى شعاع الشمس فيه ، قالتق
منها ومنه سنا شمس تشرق
والفصن مياس القوام كأنه
نشوان يصبح بالنسيم ويفبق

الحج إلى مكة فرض ، وقاعدة من قواعد الاسلام ، كيف يقول أن هذه الأمة ترى زيارة مشهد أفضل من الحج إلى مكة . « . وانا هنا مواقف : إن الرحلة ناقل نجبر ، ولا يرد الخبر بهذا الاستنتاج العقلى ؛ فأتم التناقض على المفضلين لاعلى الخبر . ولا يقال لناقل الخبر إنك خاطيء ، بل يقال إنه كاذب أو غافل أو غير متحر او ما إلى ذلك . على اننا لو جاوزنا هذا ترى التناقض المقود غير ما نحن فيه . نجبر الرحلة أو دعواه - ان شئنا - أن الشيعة تفضل مشهداً على مكة ؛ وكذلك تقول عبارة الأستاذ عزام في مقدمه ، وتفضل مشهد على مكة غير تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ؛ ولا يلزم من تفضيل مشهد على مكة تفضيل زيارة مشهد على الحج إلى مكة ، كالم يلزم من تفضيل مسجد الرسول عليه السلام على عرقات تفضيل زيارته على الوقوف برفة ؛ ولن ننسى أن الرحلة - في نقل الأستاذ عزام - نجبر بتفضيلهم مشهداً - لآزارتها - على مكة - لاعلى الحج إليها -

ح - والمجب أن الأخ الأستاذ يقحمني أيضاً في مسألة الزيارة والحج ويضع في رده خطأ تحت قوله « زيارة مشهد أفضل من الحج » كأنى كنت فيما كتبت مشتغلاً بنقد استنتاجه لا بتصحيح خبر الرحلة من كتاب شيبى غير عامى ؛ والأستاذ بذلك يقول عنى إنى أدعى « على بعض المسلمين أنهم يفضلون زيارة كربلاء على الحج وهو قاعدة من قواعد الاسلام » وأنه فأننى اثبتت في ذلك الادعاء . . الخ . ومن الفكه أن لفظى « حج » و« زيارة » لم تردا في كلتى مطلقاً ، بل لم تقم كذلك فيما استشهدت به من كلام العالم الشيبى المحدث مطلقاً ؛ ولم تردا إلا في الفقرة المتقودة التي نقلها من كلام الأخ عزام ، فكيف حملنى عبء هذا الادعاء ؟ لأدرى ! ولله هو يدرى .

وأخيراً ، نقل الرحلة ثابت تفضيل الشيعة مشهداً على مكة متفق مع ما ينقله عالم شيبى عن عالم شيبى وبعده متواتراً ، وليس يتناق هذا التفضيل مع فرضية الحج إلى مكة ، وليس يلزم من هذا التفضيل زيارة مشهد على الحج المفروض ، وهذا التفضيل لمشهد على مكة شىء آخر مغاير لتفضيل زيارة مشهد على الحج الى مكة ؛ وأسأل الله لى ولأخى الثبات والتثبيت دائماً ؟

أمين الحرمى

نظم شاعرنا قصيدة طويلة سماها الوسيلة الشفعة في مناقب الخلفاء الأربعة ، وهي قصيدة طويلة تبلغ تسعة وسبعين ومائة بيت ، عدد فيها مآثر الخلفاء وذكر فضائلهم ، وبدأها برأيه فيهم كلهم وهو :

كل من الخلفاء غير محمداً عن مورد الشرف الذي لا يورد
ولهم سوابق أنزلت كل امرئ حيث اقتضاه له التقى والسؤدد
وأقر بعضهم لبعض بالذي يسموه من فضله ويمجد
فرضوا ، ولم يتدافعوا حسنتهم كل لصاحبه يقر ويشهد
ثم مضى بعد فضائل كل مبتدئاً بأبي بكر ، ذا كرامته
في الاسلام : فهو أول من آمن بالنبي ، ولما مرض النبي أتاه
عنه في الصلاة ، فكان ذلك من النبي تقليداً له بالخلافة ، ولذا
كان أولى الناس بها ، ولقد جمع أبو بكر أمر المسلمين بعد أن
كادوا يتفرقون يوم السقيفة ، وحارب أهل الردة حرباً موقفاً
أعاد للإسلام بهجته ، ثم حارب الروم والفرس ، وكانت خاتمة
حسناته أنه ولي الأمر عمر من بعده ، وعمر هذا طالما نزل القرآن
موافقاً لرأيه وما بداله ، كما أن النبي كان يطلب من الله أن يعز
الاسلام بدخوله فيه ، حتى إذا دخل فرح المسلمون ، وجهروا
بدينهم بعد أن كانوا يخفونه ، لما كان له من المكان العظيم بين
قومه وعشيرته ، حتى إذا ولي أمر المسلمين بعد أبي بكر صهر على
الرعية ومصالحها بين لا تنقل ، ففتحت الدنيا في عهده ، ودرت
الخير الوفير على المسلمين ، فإذا أنهى عمر وتحدث عن عثمان ذكر
له إعادته للمسلمين عماله ، وصومه وصلاته ، وزواجه من بنتي النبي
وفضله يوم جيش العسرة ، ويوم بيعة الرضوان ، ثم رد على من
ينتقمه بقوله :

نطق الكتاب بفضله فمن الذي رتاب فيه جهالة أو يجحد
إلا كفور للهدى متكب أو جاهل في فيه متردد
ولكبر ما قوموا عليه ضلة فربي تبر ، وهفوة تعتمد
ثم انتهى إلى على خلدنا عن قره من النبي ، وتزيمة النبي له ،
وزواجه من ابنته ، وإسلامه صيماً فلم يندس الكفر نفسه ، ولم
يسجد لصنم طوال حياته ، ثم وصف عدله ، وعلمه ، وتواضعه ،
وعبادته وورعه وزهده وشجاعته وبلاغته ، وكل هذا الحديث
عن الخلفاء الراشدين ينطق بأن شاعرنا سنى يفضل الخلفاء
كلهم لاشيى يقدم علياً على سواه ، بل هو يرتبهم في الفضل
كترتيبهم في الخلافة ، غير أنه مما يلاحظ أنه أتى على أبي بكر

والطير ينطق معرباً عن شجوه فيكاد يفهم عنه ذاك النطق
غرداً يعني للفضون فتنتى طرباً جيوب الظل منه تنطق
والنهر لما راح وهو مسلسل لا يستطيع الرقص ظل يصفن
فتمل أيام الريح ، فالها ربحانة الزمن التي تستنشق
فهو قد رسم لك بشعره ذلك صورة جميلة للرياض والزهرة
المتفتح الذي ارتاع من مر النسيم في الضحا فتفتحت أكله ،
وقد كان الندى عليه كحبات المقد فأضحي عليها كالتاج أو النطاق ،
ثم هذه الفصون المياسة كأنها سكرى والطير يعني على تلك الفصون
فتهز لهذا الفناء طرباً ، والنهر يصفق فرحاً ، والشمس تلقى أشعتها
على هذا الجمال كله ، فيبدو للمرء منظر هو أبداع مافي الطبيعة من
مناظر الجمال .

ع

لشاعرنا الميموي موشحات عارض بها سواه ، وهي تعد بحق
من أجل الموشحات وأبداعها ، وهو أحياناً يسير على أوزان الشعر
العربي ، وأحياناً لا يسير عليها ، وأنت تحس في بعض موشحاته
بآثار الصنعة اللفظية ظاهرة جليلة ، وهو حين يعارض سواه في
موشحاته يضمن موشحه أول بيت من الموشح الذي عارضه ،
ولذلك يضطره الحال إلى أن يدع المدح وينتقل منه إلى الفزل على
عكس السنة المروفة لدى الشعراء .

ولقد كان شاعرنا نفوراً بشعره الفخر كله ، مملوءاً به تها ،
يمتد أن شعره يفوق شعر غيره ويسمو عليه حتى قال :
إن القريض - وإن تكأثرسا كنو أفياته - للبعد فيه الأوحده
وكان أحياناً لا ينشد المدوح قصيدته إلا بعد أن ينشده
سواه ليتمكن المدوح من أن يرى الفرق بين شعره وشعر غيره ،
غير أنه في بعض الأحيان كان لا يجد مركزه وما يواتيه به الدهر متناسباً
مع جودة شعره وبلاغة قوله فيشكو ويلج في الشكوى ، ويتألم
أشد الألم ، ولقد كان شعره فضلاً عن عذوبته التي تحس بها جارياً
على قوانين النحو والصرف إذا استثنينا بعض أخطاءه لا تكاد تذكر ،
غير أنه قد أخطأ حقاً حين قال يهنيء بالميد :

لأهني مولاى بالميد إلا خوف تمطيل سنة تمقاد
فمن الجهل أن يهنا بعيد من به الدهر كله أعياد
فمع صحة المعنى لا نشك مطلقاً في أنه ليس من أدب الخطاب
أن يقال لأحدلاً أهنيك بالميد في مفتتح الكلام ، ولكن شاعرنا
لم يعن إلا بالمعنى وصحته بدون نظر إلى جمال الافتتاح وهو ليس أول
من هفأ تلك الهفوة بل سبقه بها سواه من الشعراء والشعراء البرزين .

مؤلفي اللغة العربية فهم من قديم قد استنوا تلك السنة وساروا عليها في مؤلفاتهم .

٦

لم نهتد إلى تعيين عام وفاته كما ضن علينا التاريخ بمعرفة عام ولادته ، غير أنه مما يروى عنه أنه كان لطيف المحضر فاضلاً مهذباً ، أحضر ديوان شعره إلى ابن المديم وكان قد حضر رسولاً عن السلطان الملك الناصر فتصفحه وأعجبه ، وكتب على الديوان :
وكتبتاً ظن الترك تختص أعين لهم إن رنت بالسحر فيها وأجفان .
إلى أن أتاني من بديع قريضهم قوافي السحر الحلال وديوان
فأيقنت أن السحر أجده لهم يقر لهم هاروت فيه وسحبان .
وعسى أن يواتينا الزمن يوماً بكل شعره وثره ، وتاريخ حياته مفصلاً فندرسه دراسة مستفيضة تليق بيلافته .

أحمد أحمد جوي
المدرس المتدرب بتأوية نابلس

وعمر بأعمالها بعد الخلافة بناء مستفيضاً ، حتى إذا جاء إلى على وعثمان أتني عليهما بفضائلهما الشخصية أكثر مما أتني عليهما بأعمالهما بعد الخلافة ، ربما يكون منبشاً ذلك أن أبا بكر وعمر كانت أعمالهما بعد الخلافة في تثبيت دعائم الاسلام ونشر دعوته أكثر من زميليهما ، ومن أجل هذا كان الثناء المستفيض .

قبل أن تختم حديثنا عن صاحبنا المهيوي نريد أن نشير إلى أنه كان فائراً مطلقاً كان شاعراً ، غير أن ثره لم أعثر عليه ، ولعل أوفق يوماً ما إلى الاطلاع عليه ودراسة ، ولقد ألف كذلك كتاباً أهده إلى ولي نعمته محيي الدين محمد بن سعيد لا نعلم اسمه وإن كنا نستطيع أن نفهم موضوعه حين نقرأ قوله واصفاً إياه .
الميد أيدمر تطلب تحفة تكسى القبول لسيد الأصحاب
فراى أجل هدية تهدي له ذوب النهى ، وتتأجج الألباب
فأجال في روض القرائح فكره ثم اتقى منه لباب لباب :
من طيب فادرة ، ولطف فكاهة

وبديع فادرة ، وحسن خطاب
وسواثر الأمثال قد وشحتها
فيه بمجز سنة وكتاب
والجد موصولاً بهزل ينشط ال
قارى ، ويطرب أيما أطراب
ونواد الحكماء والبلغاء ، وال
خطباء، والشعراء، والكتاب
وجمت فيه إلى سلامة رقة ال
حضر اللطيف جزالة الأعراب
فأتاك كالحسناء قد لبست على ال
تراء نوب نضارة وشباب
والروضة الثناء أهنت نشرها
تريح الشمال ضحى غداة سحاب
فهو مجموعة فيها النوادر والفكاهات ، وفيها
الأمثال والحكم ، وفيها طرف من نثر الخطباء
والكتاب ، وبعض من شعر الشعراء ، فانت تنتقل
فيه من جد إلى هزل ومن هزل إلى جد ، فتطرب
ولا تسأم القراءة ؟ وتلك طريقة معروفة لدى

كل قرش توفره

دعامة لاستقلال بلادك

اقتصد فالمال يفر الرجال

وضع ما تقتصده في صندوق توفير

بنك مصر

فانه البنك الوحيد الذي يشجع التوفير

بمنح فوائد أعلى من غيرها ، فضلا عن

حسن المعاملة وسرعة الانجاز